النشاط العلمي في المسجد النبوي من خلال كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» لشمس الدين السخاوي (ت 902هـ)

د. سارة بنت عبد الله الرويس

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة- كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

النشاط العلمي في المسجد النبوي من خلال كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» لشمس الدين السخاوي (ت 902هـ)

د. سارة بنت عبد الله الرويس

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة- كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: 18/ 2/ 2024 م تاريخ قبول البحث: 3/ 6/ 2024 م

ملخص الدراسة:

تناول هذا البحث لمحات عن النشـــاط العلمي في المســـجد النبوي من خلال كتاب (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة) لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـــ/ ١٤٩٧م). واهتم بتسليط الضوء على الحركة العلمية في المسجد النبوي الذي كان ولايزال يمثل أحد أهم مراكز النشاط العلمي ليس في المدينة المنورة فحسب، بل في العالم الإسلامي بأكمله، فقد شهد هذا المسجد منذ تأسيسه في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم في العصور اللاحقة نشاط علمي واسع، وكان حتى يومنا هذا جامعة مفتوحة لنشر العلوم الإسلامية. وقد بدأ بنبذة للتعريف بمؤلف الكتاب، وأشار لنشأته وتعليمه وأهم شيوخه وبعض مؤلفاته والعلوم التي برع بها وقام بتدريسها، وأعقب ذلك تعريف موجز بكتاب التحفة اللطيفة، وهو من أهم المصـــنفات التاريخية الغنية، حيث احتوى على تراجم لأهل المدينة المنورة ومن سكنها ولو لمدة قصيرة، منذ القرن الأول الهجري حتى زمن المؤلف، وتضمنت هذه التراجم مادة ثرية وشـــاملة تعكس كثيرًا من جوانب الحياة في المدينة المنورة وما حولها. وأبرز البحث أهم مظاهر النشـــاط العلمي في المســـجد النبوي من خلال التراجم الواردة في كتاب التحفة، وتطرق للحلقات العلمية فيه. وأهم موضـــوعاتها، وأنواعها، وطرق التعليم فيها، مع الإشـــارة إلى الإجازات العلمية وأهميتها، والتركيز على ذكر أمثلة للعلماء البارزين في المسجد النبوي. وأشار البحث ـــ أيضًا ـ إلى عدد من العلماء الذين برزوا في تلك الفترة وتميزوا بالموسـوعية، وكان كلٍ منهم فارسًـا في أكثر من ميدان علمي، كما كان لهم أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية داخل المسجد النبوي.

الكلمات المفتاحية: النشـاط العلمي، المسـجد النبوي، شمس الدين السـخاوي، التحفة اللطيفة، تاريخ المدينة المنورة الحياة العلمية في الحرمين.

The Scholarly Activity in the Prophet's Mosque through al-Tuḥfah al-laṭīfah fī Tārīkh al-Madīnah al-sharīfah By Shams al-Din al-Sakhawi (902 AH).

Dr.Sarah Abdullah Alrowais
Assistant Professor- Dept.of History & Civilization
College of social sciences- Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This research examined glimpses of the scholarly activity in the Prophet's Mosque through the book *al-Tuḥfah al-laṭīfah fī Tārīkh al-Madīnah al-sharīfah* (The Exquisite Masterpiece in the history of the Venerable City of Madiah) by Shams Al-Din Al-Sakhawi (d. 902 Hijri/1497 AD). It highlighted the scholarly movement in the Prophet's Mosque which was and will always be one of the most important centers of intellectual activity not only in Al-Madinah Al-Munawwarah but also in the entire Islamic world. Since its establishment during the time of the Prophet Muhammad (peace be upon him) and in the following eras, this mosque has witnessed broad scholarly activity and remains an open university for the dissemination of Islamic sciences. The research started with an introduction to the author of the book, highlighting his background education, influential scholars, some of his works, and the disciplines which he taught and excelled in. This was followed by a brief introduction to the book "Al-Tuhfat Al-Latifah, "which is one of the most important and rich historical compilations for including biographies of the residents of Al-Madinah Al-Munawwarah ،even those who resided there for a short period ،from the first century of the Islamic calendar until the author's time. These biographies contain valuable and comprehensive material that reflects many aspects of life in and Al-Madinah Al-Munawwarah and its neighboring areas. The research highlighted the most important aspects of the scholarly activity in the Prophet's Mosque through the biographies mentioned in the book "Al-Tuhfat Al-Latifah." It discussed the scholarly circles in the mosque, their disciplines, types teaching methods, pointing to the significance of scholarly certification. Furthermore, it shed light on some examples of prominent scholars in the Prophet's Mosque. The research also mentioned a number of scholars who stood out during that period and were known for their encyclopedic knowledge. Each of them excelled in multiple fields and had a significant impact on the flourishing of the scholarly movement in the Prophet's Mosque.

keywords: scholarly activity, Prophet's Mosque, Shams Al-Din Al-Sakhawi, Al-Tuhfat Al-Latifah, history of Al-Madinah Al-Munawwarah, scholarly life in the Two Holy Mosques

مقدمة:

للمدينة مكانة خاصة في نفوس المسلمين؛ فهي القاعدة الأولى للدولة الإسلامية، وفيها ثاني الحرمين الشريفين الذي كان منذ تأسيسه ولايزال من أهم المؤسسات التي أسهمت بدور بارز في ازدهار النشاط العلمي في العالم الإسلامي، فقد نهل كثير من العلماء من هذا الصرح الذي بناه رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[1]؛ حيث عقدت بين جنباته الشريفة كثير من حلقات العلم، ومجالس التدريس التي تناول فيها كثير من العلماء البارزين مختلف العلوم، وأنشئت فيه المكتبات العامرة، وتسابق أهل الخير على حبس الأوقاف للإنفاق عليه.

ويمكن أن نستعرض أبرز معالم النشاط العلمي في المسجد النبوي من خلال أحد كتب التراجم التاريخية [2] المهمة التي تناولت الترجمة لأهل المدينة وعرفت بمن زارها، وأقام بها ولو لمدة قصيرة وهو كتاب (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة) لشمس الدين السخاوي، فهذه الكتب لها أهمية كبرى في كتابة التاريخ؛ لأن التراجم تتضمن الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي تقدم مادة أساسية لدراسة التاريخ.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى تسليط الضوء على دور

---

(1) بركة مضيف الطلحي، تعليم المرأة في المسجد النبوي، مجلة الحرمين الشريفين، العدد الثاني، ١٤٣٦هـ، ص٢٧٢؛ ملتقى أهل الحديث، منتدى السيرة والتاريخ. www.ahlulhadeeth.com .

(2) تتناول هذه الكتب التعريف بحياة الأشخاص تعريفًا يطول أو يقصر، وهو نوع من أنواع الكتابة التاريخية التي تحتاج إلى مقدرة متميزة وتتم وفق نسق خاص معروف. محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م، ص٩-١٠.

كتاب التحفة اللطيفة خاصة في عرض مظاهر النشاط العلمي في المسجد النبوي، ودور كتب التراجم عامة في دراسة التاريخ الحضاري الإسلامي، ويُجيب البحث عن ثلاثة أسئلة مهمة في هذا الصدد وهي:

- من هو مؤلف كتاب التحفة اللطيفة؟
- ما هو كتاب التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة؟
- ما أبرز معالم النشاط العلمي في المسجد النبوي من خلال كتاب التحفة اللطيفة؟

ويجدر القول بأن الباحثة لم تصل إلى دراسة سابقة عن هذا الموضوع، فقد اهتمت جميع الدراسات التي وقَفَت عليها بالتعليم في المسجد النبوي على وجه العموم، وليس من خلال أحد الكتب التاريخية، ومنها على سبيل المثال:

- النشاط العلمي في المسجد النبوي في القرن التاسع الهجري، لميرفت رضا. وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث، تناولت المؤسسات العلمية في المسجد النبوي، وأشهر العلوم والعلماء فيه، وأهم العوامل المؤثرة في النشاط العلمي في المسجد النبوي في القرن التاسع فقط.
- المدينة في العصر المملوكي، لعبد الرحمن المديرس. وهي دراسة عامة عن المدينة في العصر المملوكي، تحدث فيها الباحث عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وخصص الفصل الخامس للحديث عن الحركة العلمية في المدينة في عصر المماليك.
- تعليم المرأة في المسجد النبوي، بركة بنت مضيف الطلحي. ركز هذا البحث على تعليم المرأة في المسجد النبوي، وأشهر النساء العالمات فيه قديمًا

وحديثًا.

ويتمثل جديد الدراسة في التركيز على مظاهر النشاط العلمي في المسجد النبوي، كما ورد في كتاب التحفة اللطيفة.

وانتظمت الدراسة في مقدمة، وثلاثة محاور، وخاتمة، حيث خُصص المحور الأول للتعريف بالمؤلف شمس الدين السخاوي، وتحدث المحور الثاني عن كتاب التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، أما المحور الثالث فكان للحديث عن النشاط العلمي في المسجد النبوي من خلال كتاب التحفة اللطيفة.

المحور الأول: السخاوي وجهوده العلمية.

هو الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي [1] الأصل، الشافعي المذهب، نزيل الحرمين الشريفين، ولد في ربيع الأول عام 831هـ/1427م، في القاهرة بمصر، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وصلى به في شهر رمضان، وحفظ الكثير من الكتب، وكلما حفظ كتابًا عرضه على مشايخه، وبرع في الفقه، والعربية، والقراءات، والحديث، والتاريخ، والجرح والتعديل، وله علم في الفرائض، والحساب، والتفسير، وأصول الفقه، وغيرها.

تلقى العلم على عدد كبير من العلماء، يزيدون على أربعمئة نفس، وأذن له كثير منهم بالإفتاء والتدريس والإملاء. وسمع الكثير من شيخه الحافظ ابن

(1) السخاوي: نسبة إلى سخا، بلد غربي الفسطاط، وكانت النسبة إليها عند المتقدمين السخوي، وهي الآن قرية من قرى مركز كفر الشيخ، تبعد عن القاهرة نحو 17 كلم.

حجر العسقلاني [1]، وكان كثير الرحلة في طلب العلم، جاب البلاد، واجتمع له من المرويات بالسماع والقراءة ما يفوق الوصف، وجاور [2] بالمدينة المنورة أكثر من مرة، وأخذ عنه أهلها والقادمون إليها.

وكان كثير التصنيف، زادت مؤلفاته على أربع مئة [3]، منها: «الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر» و«فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» و«الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» و«غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج»، توفي رحمه الله عام 902هـ/1497م بالمدينة المنورة (السخاوي، د.ت، ج8، ص2-32).

المحور الثاني: كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» [4]:

يشتمل هذا الكتاب على تراجم لأهل المدينة المنورة ومن سكنها، ولو لمدة قصيرة، من القرن الأول الهجري حتى زمن المؤلف، ورتب هذه التراجم على

---

(1) ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، يعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه، له رحلات كثيرة في طلب العلم، اشتهر بالحفظ والثقة والأمانة وسعة العلم، وله مؤلفات كثيرة في الحديث والأدب والفقه، منها «فتح الباري». توفي عام 852هـ/1448م (السخاوي، د.ت. ج2، ص36).

(2) جاور: قال ابن منظور: الجوار والمجاورة والجار، الذي يجاورك، وجاور الرجل مجاورة وجوارًا، ويقصد به هنا: الإقامة بجوار الحرمين الشريفين في مكة والمدينة لطلب العلم (ابن منظور, 1990م، ج4، ص153).

(3) مشهور آل سلمان وأحمد الشقيرات، مؤلفات السخاوي، دار بن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٦.

(2) تحقيق محمد الفقي، نشر بعناية أسعد الحسيني، طبع في مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، 1399هـ/ 1979م.

حروف المعجم المشرقي. سبق ذلك بإيراد سيرة نبوية مختصرة، ووصف المسجد النبوي، وبعض ما يشتمل عليه مثل الروضة الشريفة[1] والأبواب والمنابر ونحوها، وتحدث عن الزيادات التي أجريت على المسجد، ثم تحدث عن بعض المساجد والآبار والمدارس والربط[2] وأماكن المرضى[3] في المدينة المنورة، كما شمل الحديث من عمل بالمسجد النبوي من الأئمة والخطباء والقضاة والفراشين والخدام[4]. يقول السخاوي عن سبب تأليفه: «وكان مما حداني على هذا الجمع، الذي تقر به العين

(1) الروضة الشريفة: هي البقعة الواقعة بين بيت النبي صلى الله عليه وسلم، الذي هو بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والمنبر الشريف في المسجد النبوي. (حافظ،1405هـ، ص75).

(2) الربط: جمع رِباط، وهو المكان الذي ينقطع فيه المرء لعبادة الله، وهي في المدينة مأوى للفقراء والمنقطعين وطلاب العلم والمجاورين. (حسين، 1985م، ص192).

(3) تسمى البيمارستان أو لمارستان، وهو لفظ غير عربي مركب يعني محل المريض أو دار المريض وهذه الأماكن تُقام لإقامة المرضى ومعالجتهم والاهتمام بهم، وبدأ ظهورها في الدولة الإسلامية منذ العهد الأموي. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ج٣، ص٥٤٥؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٧؛ نجوان سعيد، الحسبة في مصر عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٥٦.

(4) الفراشين: هم الموظفون الذين يهتمون بإضاءة المسجد وفرشه ونصب الستائر، وعددهم نحو أربعين في عصر السخاوي، وهذه الوظيفة من الوظائف الرسمية ذات التنظيم الخاص. السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٣-٣٤.

الخدام: وهم الذين يقومون بالخدمة والحراسة في المسجد، أصبح لهم تنظيم خاص منذ العصر الأيوبي، يسمى رئيسهم شيخ الخدام. الميورقي، أحمد بن علي العبدري (ت٦٧٨هـ/١٢٧٩م). بهجة المنهج في بعض فضائل الطائف ووج، تحقيق: إبراهيم محمد الزيد، الطائف، ط١، ١٩٨٤م، ص٣٤؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٤-٣٦.

ويصغي إليه صحيح السمع، أنني لم أجد فيه مصنفًا يشفي الغليل...» (السخاوي، 1979م، مج1، ص. 19)، وقد عاد السخاوي لأكثر من أربعة وسبعين مصدرًا، واعتمد على النقل في غالب مادة الكتاب، واهتم كثيرًا بالإسناد. وفي التراجم يذكر الاسم والنسب والولادة ونبذة موجزة عن حياة المترجم له وعلمه وشيوخه وتلاميذه، وقد يتكلم هو عنه ثم يذكر وفاته، وإذا كان من الحكام ينبه على بعض أعماله ومآثره.

المحور الثالث: النشاط العلمي في المسجد النبوي:

يعد هذا المسجد أحد مراكز النشاط العلمي في المدينة المنورة، بل وفي العالم الإسلامي؛ فقد شهد منذ تأسيسه في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي العصور التاريخية اللاحقة حركة علمية واسعة (السخاوي، 1979م، ج3، ص. 471; الفراجي، 2006م، ص. 53)، وسيتم عرض أبرز معالم النشاط العلمي في المسجد النبوي على النحو الآتي:

أولًا: الحلقات العلمية

وهي من أبرز مظاهر النشاط العلمي في المسجد؛ فقد أدت دورًا بارزًا في إثراء الحركة العلمية، لا في المدينة فحسب؛ بل في بقية أنحاء العالم الإسلامي (الفراجي،2006م، ص. 54) حيث كان طلاب العلم يجلسون على الأرض، ويتحلقون حول العالِم، الذي يستقبلهم بوجهه، ويلقي عليهم الدروس والمواعظ، وكان العالم يجلس أحيانًا على كرسي أو منصة ليظهر للجميع (السخاوي، 1979م، ج2، ص.57 ; المديرس، 2001، ص .245 ; الفراجي، 2006، ص .54). وتعود بداية الحلقات إلى عهد الرسول (البغدادي، 1977، ص

ص .283-284)، وقد استمرت في المسجد النبوي عبر العصور الإسلامية، ويقوم نظامها على تحديد العالم للموضوعات التي يرغب في تدريسها، والطريقة الملائمة للتدريس، والوقت الذي تعقد فيه الحلقة (السخاوي، 1979م، ج3، ص. 244،٤٥٨).

وعادةً يختار الطالب موضوع الدراسة، والعالم الذي يدرس عليه، كما جاء في العديد من تراجم أهل المدينة (السخاوي،١٩٧٩م، ج١، ص.٨٦؛ المديرس،٢٠٠١م. ص٢٤٧). وفي الحلقة يستمع الطلبة إلى شيخهم بهدوء واهتمام، وإذا أنهى حديثه بدأوا بمناقشته (المديرس، 2001م، ص247) ومن الحلقات في المسجد النبوي حلقات تدريس القرآن الكريم للكبار والصغار على السواء (السخاوي، 1979م، ج2، ص. 458).

وكان للسخاوي حلقة علمية يعقدها في الروضة الشريفة، ويدرِّس بها بعضَ العلوم (السخاوي، 1979م، ج2، ص. 464) وأحيانًا يُعْرَضُ العمل في تدريس الحلقات على المشايخ والعلماء وَيُدْعَوْن إليه، فيمتنع بعضهم ولا يوافق، كما حدث مع أحمد بن إسماعيل بن بريد الأبشيطي، برع في كثير من العلوم، توفي عام 803هـ/ 1309م، ويعد من أكابر علماء المدينة المنورة (السخاوي، 1979م، ج1، ص. 164-170) عندما دعي لتدريس الحديث بالمسجد، فرفض (السخاوي، 1979م، ج1، ص. 167)، وقد اجتذبت هذه الحلقات أعدادًا كبيرة من طلبة العلم من المدينة وخارجها، حيث كان الحجاج والزائرون والرحالة وطلاب العلم يتلقون علومهم فيها يوميًّا، ويستمر بعضها ليلًا بعد أن توقد الشموع (ابن بطوطة،٢٠٢٢م،ج١،ص.٩٠؛ المديرس،2001م، ص.

.(247

ثانيًا: موضوعات وطرق التعليم في الحلقة العلمية:

تعددت الموضوعات التي تدرس في حلقات العلم في المسجد النبوي؛ فمنها العلوم الشرعية، كالحديث، والفقه، والتفسير، والقراءات، والسيرة النبوية، والمذاهب الأربعة، والعلوم اللغوية والأدبية، كالشعر، والنظم، واللغة، ومنها العلوم الاجتماعية، كالأنساب، والتاريخ، وأيام العرب ومن الملاحظ على العلماء المسلمين التميز بالموسوعية، وعدم الاقتصار على علم واحد، حيث يقوم العالم الواحد بعقد حلقات لتدريس عدد من الموضوعات التي يبرع فيها، كما فعل السخاوي الذي برع في كثير من العلوم ودرَّسها في المسجد النبوي (السخاوي، 1979م، ج3، ص. 147). وأما محمد بن أحمد الخجندي فقد درس وأفاد بالمسجد النبوي في الفقه والعربية وغيرهما.

وكان لزيد بن أسلم حلقة للعلم بالمسجد النبوي لتدريس الفقه والتفسير، كان زيد بن أسلم تابعي جليل روى الحديث، وله مناقب كثيرة، توفي عام 136هـ/ 754م (السخاوي، 1979م، ج2، ص. 93). وهناك عدد من الطرق المتبعة للتعليم في الحلقات، منها: طريقة القراءة على الشيخ في مجالس السماع، وهي من أوسع الطرق انتشارًا في المسجد النبوي؛ لمنفعتها، فيلتزم الطلاب بمتابعة القراءة بخشوع وصمت، وقد يتخللها توقف للشرح والتوضيح. (السنيدي، 2003م، ص. 155-160)، وطريقة الإملاء في مجالس الأمالي، حيث يملي الشيخ على تلاميذه بعض علومه (السنيدي، 2003م، ص. 162-166).

ثالثًا: الإجازات [1] العلمية:

يجتهد الطلبة في حضور الدروس للحصول على الإجازات العلمية التي يمنحها علماء المسجد النبوي، وفقًا للتقاليد العلمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي منذ القرون الأولى للهجرة (الشامخ، 1973م، ص. 18-19) فإذا تحقق المدرس من استيعاب الطالب العلمَ كتب له شهادة على الورقة الأولى والأخيرة من الكتاب الذي درسه عليه، تفيد بأنه قرأ الكتاب، وأنه مجاز بتدريسه للآخرين، وغالبًا ما يحصل الطالب على أكثر من إجازة من عدة شيوخ، وفي موضوعات مختلفة (السخاوي، 1979م ج3، ص. 38؛ المديرس،2001م، ص. 248) وربما كتبت الإجازة على ورقة مستقلة، لاسيما إذا كانت غير منصبَّة على كتاب واحد وحق روايته، كأن تكون منصبَّةً على إجازة مسموعات ومرويات العالم المانح لها، وتخويله حق روايتها (الحسيني، 1973م، ص. 38) وهناك شروط لمنح الإجازات: فالمجيز يجب أن يكون عالمًا، متقنًا لفنّه، ثقة في دينه، وأن يكون المستجيز من أهل العلم (المديرس،2001م، ص. 248-249؛ الحسيني، 1973م، ص. 37-39). وقد انتشر هذا النظام في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ومن هذه الإجازات إجازة عبد السلام الثاني العز، وهو من علماء المدينة، ولد ونشأ بها، تلقى علومه على يد السخاوي، كان عالمًا جليلًا برع في عدد من العلوم (السخاوي، 1979م، ج3، ص. 15)، التي كتبها له السخاوي ووصفه فيها بقوله: «الشيخ الأصيل، الأوحد النبيل، البارع، الفارع، الماهر،

(1) مفردها إجازة، وتعني: إذنًا من الأستاذ لتلميذه أن يروي عنه مروياته ومسموعاته أو بعضًا منها. (موافي، 1976م، ص82).

الباهر، من اشتهر بين أهله وعشيرته صلاحه....» (السخاوي، 1979م، ج3، ص. 15).

رابعًا: **خزائن الكتب بالمسجد:**

شكلت الكتب معلمًا بارزًا من معالم الحضارة الإسلامية، حتى إنها عرفت بحضارة الكتاب (الجابري، 2005م، ص. 288)، والمسجد النبوي جزء من هذه الحضارة؛ ولذلك فهو يحتوى على خزائن تحفظ فيها الكتب والمصاحف التي يوفرها الحكام والسلاطين للمسجد؛ لكي ينتفع بها طلبة العلم والزوار، فقد بنى الخليفة العباسي الناصر لدين الله قبة في المسجد النبوي لحفظ ذخائره، ومن أهمها المصحف الكريم، وأوقف ابن المظفر جلال الدين ما لديه من كتب في الحرم النبوي (السخاوي، 1979م، ج2، ص. 209)، وجعل لها خزانة في المسجد؛ لينتفع بها طلاب العلم.

وأدى العلماء أيضًا دورًا كبيرًا في إعمار هذه الخزائن وتزويدها بالكتب المختلفة، حيث يوقف بعضهم ما لديه من كتب عليها؛ ليعم نفعها، ومن هؤلاء العلامة إبراهيم بن حماد صاحب الكتب النفيسة التي وقفها في الحرم، وكان ممن جمع العلم والعمل، وانتفع به كثير من الناس، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا. (السخاوي، 1979م، ج1، ص. 114).

وأوقف السخاوي أيضًا نسخًا من مؤلفاته في المسجد النبوي، مثل كتابه (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع). وقد التهم الحريق، الذي شب في المسجد النبوي عام 886هـ/ 1481م، خزائن الكتب والمصاحف، ولم يبق منها إلا القليل، كان ذلك بسبب صاعقة ضربت المنارة الجنوبية الشرقية،

فأطاحت بجزء كبير منها، وتسبب ذلك في احتراق المسجد (الوكيل، 1988م، ص. 144)، فعوّض السلطان المملوكي قايتباي هذه الخزائن، ومدها بالكتب والمصاحف، بعد أن انتهى من إصلاح المسجد الشريف. الأشرف قايتباي (826-901هـ/ 1423-1496م) من سلاطين المماليك البرجية، تولى الحكم عام 872هـ/ 1468م، واستمر في الحكم 29سنة، أثبت خلالها أنه أكثر سلاطين المماليك قوة وحكمة. (الطبري، 1996م، ص. 279-283).

خامسًا: أبرز العلماء في المسجد النبوي:

هناك مجموعة كبيرة من العلماء الذين برزوا في عصر السخاوي في عدد من العلوم، حيث كان كل منهم فارسًا في أكثر من ميدان علمي (السنيدي،2003، ص. 207)، وكان لهم أكبر الأثر في الحركة العلمية داخل المسجد النبوي، وسنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.

(أ) علماء الشريعة:

اهتم كثير من العلماء بالعلوم الشرعية، مثل الحديث، والقراءات، والفقه، والتفسير، ومنهم:

١- الزبير بن علي بن سيد الكل، ولد عام 660هـ/1262م في بيت صلاح وعلم وخير، كان بارعًا في علم القراءات، ودرسها وأسمع الحديث في المسجد النبوي، حتى أنه لا يحتمل أن يرى أحدًا في موضعه في الروضة بجانب المنبر؛ لكثرة ملازمته ذلك المكان للتدريس، توفي رحمه الله عام 748هـ/ 1347م (السخاوي، 1979م، ج2، ص77).

٢- العلامة إبراهيم بن رجب بن حماد الشافعي: وكان ممن جمع بين العلم

والعمل، وقد وقف كتبه النفيسة في المسجد النبوي، وقام بتدريس عدد كبير من علماء المدينة، حيث كان ملازمًا لأواخر المسجد، يشتغل في علمه طول نهاره، لا يدخل إلا وقت الوضوء، انتفع به كثير من الطلبة، وتخرج عليه جماعة، وكان مشهورًا بالصلاح (السخاوي، 1979م، ج1، ص114) توفي رحمه الله عام 755هـ/ 1354م.

٣- الحافظ عفيف الدين عبد الله بن جمال الدين محمد المطري، حافظ وقته، ومحدث عصره، ورث عن أبيه مكارم الأخلاق. كان يدرِّس بالروضة الشريفة عام 753هـ/ 1351م، وتلقى عنه كثيرٌ من العلماء، توفي رحمه الله في ربيع الأول عام 765هـ/ 1363م (ابن فرحون، 1996م، ص. 150-151).

٤- محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الصبيبي، نسبة لقلعة الصبيبة، المدني الشافعي، ولد في ربيع الآخر عام 758هـ/ 1357م، سمع عن عدد من العلماء، واشتغل بالفقه، ودرَّس في الحرم النبوي، توفي رحمه الله عام 807هـ/ 1404م (السخاوي، 1979م، ج3، ص630).

(ب) علماء اللغة والأدب:

كانت العربية في ذلك الوقت مواكبة للحركة العلمية في المسجد النبوي، حيث يجمع الطالب بين تحصيله العلمي والأدب، فنراه –مثلًا– عالمًا في التفسير أو أي علم شرعي آخر، بجانب تفوقه في حفظ الأدب شعرًا ونثرًا، ومعرفته باللغة، وهذه خاصية من خصائص الثقافة الإسلامية (عبد الرزاق، 2003م، ص. 33-34) وقد حفل المسجد النبوي بعلماء في اللغة والأدب، صنفوا في مختلف مجالاتها

منهم:

١- عبد السلام بن عبد السلام بن محمد بن محمد بن أحمد بن روزبة، العز الكازروني المدني، الشافعي، ولد في جمادى الأولى سنة 737هـ/ 1336م، أخذ العلم عن كثير من العلماء، ومنهم أخوه الصفي، وأصبح من أكابر العلماء وأجلهم، وكان حسن الخط والمعرفة، درس في موضع أخيه في المسجد النبوي (السخاوي، 1979م، ج3، ص. 1-12)، توفي رحمه الله في عام 799هـ/ 1396م.

٢- محمد بن عبدالقادر، النجم، المقرئ، نزيل الحرمين، يعرف بالسكاكيني، ولد عام 757هـ/ 1355م، تبحر في كثير من العلوم، واشتغل بالإقراء والتدريس في العراق ودمشق، وقدم إلى الحجاز حاجًّا، وأقام بالمدينة حتى توفي، وكان إمامًا مشهورًا حريصًا على نفع الطلبة، درس بالحرمين وانتفع به كثير، وله عدد من المؤلفات منها: «شرح المنهاج الأصلي» و«تخميس البردة» و«بلوغ المراد في تخميس بانت سعاد»، وله قصيدة اسمها «نظم التتمة في القراءات العشر وشرحها باختصار»، وغيرها من القصائد في المدح (السخاوي، 1979م، ج3، ص650) توفي رحمه الله عام 838هـ/ 1434م.

٣- محمد بن أحمد بن موسى السخاوي، المالكي، المدني، قاضي طيبة، ولد في سنة 819هـ/ 1416م، وتردد على عدد كبير من العلماء، وأخذ عنهم في مختلف العلوم، كان ينظم القصائد التي تلقى في الحلقات العلمية، قدم إلى المدينة حاجًّا، ثم نزل مجاورًا، وأصبح قاضي المدينة، وكان ماهرًا في

الأدب واللغة والشعر. توفي في المحرم عام 895هـ/ 1489م (السخاوي، 1979م، ج3، ص .509-510).

(ج) علماء العلوم الاجتماعية:

تشمل العلوم الاجتماعية عددًا من العلوم، كالتاريخ، والجغرافيا، والتراجم، وقد كان لعلم التاريخ في المدينة المنورة دور ونصيب بارز في الازدهار الذي شهدته الحياة الثقافية، حيث اهتم علماء المدينة بالتراجم والوفيات والأمور السياسية والدينية. ومن أهم هؤلاء العلماء:

١- عبدالله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون، يعرف بالبدر، أبو محمد، تونسي الأصل، نزل المدينة وتولى قضاءها، ولد في يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة 693هـ/ 1293م، أقام بالمدينة النبوية، ولم يخرج منها إلا للحج، درس على كثير من العلماء، وبرع في علوم عدة، منها الحديث، والفقه، والعربية، والتفسير، ودرَّس في المسجد النبوي لأكثر من خمسين سنة، وكان عابدًا، حريصًا على الصلاة، جمع الله له العلم والعمل والدنيا والدين، وألف في بعض العلوم، منها في الحديث: «كشف الغطا في شرح مختصر الموطأ»، ومنها: «نصيحة المشاور وتعزية المجاور» (السخاوي، 1979م، ج3، ص. 406 – 408) وكتبه في غاية الجودة والإتقان. توفي رحمه الله في عام 769هـ/ 1367م.

٢- إبراهيم بن علي بن فرحون، العلامة القاضي، أبو الوفاء، ولد ونشأ بالمدينة، وتلقى علومه على يدي كثير من العلماء وبرع وجمع وصنف وسمع منه الفضلاء، ولي قضاء المالكية في المدينة، ألف في التراجم كتاب «الديباج

المذهب في معرفة أعيان المذهب»، وانتفع به الناس كثيرًا (السخاوي، 1979م، ج1، ص132) توفي رحمه الله عام 799هـ/1396م.

الخاتمة

من خلال هذه المراجعة توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج، أهمها:

١- أهمية كتب التراجم في كتابة التاريخ الحضاري، فهي تقدم للباحث مادة أساسية للبحث التاريخي

٢- أهمية المسجد النبوي في حركة التعليم في المدينة المنورة، حيث كان جامعة مفتوحة لنشر العلوم الإسلامية، وظهر هذا جليًّا في كتاب السخاوي «التحفة اللطيفة».

٣- كانت المدينة المنورة مركزًا جاذبًا للعلماء وطلبة العلم، حيث نلاحظ أن معظم علماء المسجد النبوي ليسوا من أهل المدينة، بل جاءوا إليها طلبًا لمجاورة الحرم النبوي الشريف.

٤- أهمية كتاب السخاوي «التحفة اللطيفة» في تاريخ المدينة المنورة؛ فهو أحد أهم المصنفات التاريخية، ويحتوي على مادة غنية وشاملة تعكس كثيرًا من جوانب الحياة في المدينة وما حولها.

٥- كثرة العلماء في المسجد النبوي وموسوعية علمهم، حيث يلاحظ القارئ لكتاب التحفة اللطيفة تنوع العلوم التي يدرسونها.

٦- اعتمد السخاوي على كثير من المصادر في تراجمه، وخاصة مؤلفات شيخه ابن حجر العسقلاني، وكتاب «الثقات» لابن حبان.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

ابن بطوطة، أبوعبدالله محمد بن عبد الله الطنجي (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، (د.ط)،٢٠٢٢ م.

ابن فرحون، أبو محمد عبد الله. (1996م). *نصيحة المشاور وتعزية المجاور*. (تحقيق حسين شكري). المدينة المنورة: دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع.

ابن منظور، جمال الدين. (1990م). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

آل سلمان، مشهور والشقيرات، مؤلفات السخاوي، دار ابن حزم، بيروت،١٩٩٨م.

البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. (1977م). *الفقيه والمتفقه*. القاهرة: نشر زكريا علي.

الجابري، خالد محسن. (2005). *الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250- 1715م)*. المملكة العربية السعودية: مؤسسة الفرقان.

حافظ. علي. (1405هـ). *فصول من تاريخ المدينة المنورة* (ط2). جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر.

حسين، جميل حرب. (1985م). *الحجاز واليمن في العصر الأيوبي*. جدة: تهامة للنشر

الحسيني، عبد العزيز محمد. (1973م). *الحياة العلمية في الدولة الإسلامية*. الكويت: وكالة المطبوعات.

الذهبي، شمس الدين محمد. (2004م). *سير أعلام النبلاء*. بيروت: بيت الأفكار الدولية.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (1979م). *التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة*، (تحقيق محمد الفقي، نشر بعناية أسعد الحسيني). القاهرة: دار نشر الثقافة.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

سعيد، نجوان، الحسبة في مصر عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث

الإنسانية والاجتماعية، الجيزة،٢٠١٤م.
السنيدي، عبد العزيز راشد. (2003م). *الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين*. الرياض: سفير.
الشامخ، محمد عبد الرحمن. (1973م). *التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني*. الرياض: دار العلوم.
الطبري، علي بن عبدا لقادر. (1996م). *الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء* (تحقيق أشرف الجمال، إشراف سعيد عبد الفتاح). مكة المكرمة: المكتبة التجارية.
الطلحي، بركة مضيف، تعليم المرأة في المسجد النبوي، مجلة الحرمين الشريفين، ١٤٣٦هـ، ع٢.
عاشور، سعيد عبد الفتاح. (د.ت). *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*. بيروت: دار النهضة العربية.
عبد الرزاق، بدر عبد الباسط. (2003م). الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي. *مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة*، 5، 49 - 83
عبد الغني، محمد، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ب ط،١٩٥٥م.
الفراجي، عدنان. (2006م). *الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة*. بيروت: الدار العربية للموسوعات.
المديرس، عبد الرحمن. (2001م). *المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250- 1517م): دراسة تاريخية*. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩٨م.
موافي، عثمان. (1976م). *منهج النقد التاريخي* (ط2). الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.
الميورقي، أحمد بن علي العبدري(ت٦٧٨هـ/١٢٧٩م). بهجة المنهج في بعض فضائل الطائف ووج)، تحقيق: إبراهيم محمد الزيد، الطائف،١٩٨٤م.

الوكيل، محمد السيد. (1988م). المسجد النبوي عبر التاريخ. المملكة العربية السعودية: دار المجتمع.

المراجع الأجنبية والعربية المترجمة للإنجليزية:

References

Arabic references

Ibn Baṭṭūṭah, abw‘bdāllh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh al-Ṭanjī (779h / 1377m). Tuḥfat al-nuẓẓār fī gharā’ib al-amṣār wa-‘ajā’ib al-asfār), al-Mamlakah al-Muttaḥidah, Mu’assasat Hindāwī, (D. Ṭ), 2022 M.

Ibn Farḥūn, Abū Muḥammad ‘Abd Allāh. (1996m). Naṣīḥat al-mushāwir wa-ta‘ziyat al-mujāwir. (taḥqīq Ḥusayn Shukrī). al-Madīnah al-Munawwarah : Dār al-Madīnah al-Munawwarah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.

Ibn manẓūr, Jamāl al-Dīn. (1990m). Lisān al-‘Arab. Bayrūt : Dār Ṣādir.

Āl Salmān, Mashhūr wālshqyrāt, Mu’allafāt al-Sakhāwī, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, 1998m.

al-Baghdādī, Aḥmad ibn ‘Alī al-Khaṭīb. (1977M). al-Faqīh wālmtfqh. al-Qāhirah : Nashr Zakarīyā ‘Alī.

al-Jābirī, Khālid Muḥsin. (2005). al-ḥayāh al-‘Ilmīyah fī al-Ḥijāz khilāl al-‘aṣr al-Mamlūkī (648-923h / 1250-1715m). al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah : Mu’assasat al-Furqān.

Ḥāfiẓ. ‘Alī. (1405h). fuṣūl min Tārīkh al-Madīnah al-Munawwarah (ṭ2). Jiddah : Sharikat al-Madīnah al-Munawwarah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

Ḥusayn, Jamīl Ḥarb. (1985m). al-Ḥijāz wa-al-Yaman fī al-‘aṣr al-Ayyūbī. Jiddah : Tihāmah lil-Nashr

al-Ḥusaynī, ‘Abd al-‘Azīz Muḥammad. (1973m). al-ḥayāh al-‘Ilmīyah fī al-dawlah al-Islāmīyah. al-Kuwayt : Wakālat al-Maṭbū‘āt.

al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad. (2004m). Siyar A‘lām al-nubalā’. Bayrūt : Bayt al-afkār al-Dawlīyah.

al-Sakhāwī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān. (1979m). al-Tuḥfah al-laṭīfah fī Tārīkh al-Madīnah al-sharīfah, (taḥqīq Muḥammad al-Fiqī, Nashr bi-‘ināyat As‘ad al-Ḥusaynī). al-Qāhirah : Dār Nashr al-Thaqāfah.

al-Sakhāwī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān. (D. t). al-ḍaw’ al-lāmi‘ li-ahl al-qarn al-tāsi‘. al-Qāhirah : Dār al-Kitāb al-Islāmī.

Sa‘īd, Najwān, al-ḥisbah fī Miṣr ‘aṣr salāṭīn al-Mamālīk, ‘Ayn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, al-Jīzah, 2014m.

al-Sunaydī, ‘Abd al-‘Azīz Rāshid. (2003m). al-ḥayāh al-‘Ilmīyah fī Makkah khilāl al-qarnayn al-Thānī wa-al-thālith al-Hijrīyayn. al-Riyāḍ : Safīr.

al-Shāmikh, Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān. (1973m). al-Ta‘līm fī Makkah wa-al-Madīnah ākhir al-‘ahd al-‘Uthmānī. al-Riyāḍ : Dār al-‘Ulūm.

al-Ṭabarī, ‘Alī ibn ‘Ubadā l-Qādir. (1996m). al-Arj al-miskī fī al-tārīkh al-Makkī wa-tarājim al-mulūk wa-al-khulafā’ (taḥqīq Ashraf al-Jammāl, ishrāf Sa‘īd ‘Abd al-Fattāḥ). Makkah al-Mukarramah : al-Maktabah al-Tijārīyah.

al-Ṭalḥī, Barakah mḍyf, Ta‘līm al-mar’ah fī al-Masjid al-Nabawī, Majallat al-Ḥaramayn al-Sharīfayn, 1436h, ‘2.

‘Āshūr, Sa‘īd ‘Abd al-Fattāḥ. (D. t). Miṣr wa-al-Shām fī ‘aṣr al-Ayyūbīyīn wa-al-Mamālīk. Bayrūt : Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah.

‘Abd al-Razzāq, Badr ‘Abd al-Bāsiṭ. (2003m). al-ḥayāh al-Thaqāfīyah fī al-Madīnah al-Munawwarah fī al-‘aṣr al-Mamlūkī. Majallat Markaz Buḥūth wa-dirāsāt al-Madīnah, 5, 49-83

‘Abd al-Ghanī, Muḥammad, al-tarājim wa-al-siyar, Dār al-Ma‘ārif, al-Qāhirah, b Ṭ, 1955m.

al-Farājī, ‘Adnān. (2006m). al-ḥayāh al-fikrīyah fī al-Madīnah al-Munawwarah fī al-qarnayn al-Awwal wa-al-thānī lil-Hijrah. Bayrūt : al-Dār al-‘Arabīyah lil-Mawsū‘āt.

al-Mudayris, ‘Abd al-Raḥmān. (2001M). al-Madīnah al-Munawwarah fī al-‘aṣr al-Mamlūkī (648-923h / 1250-1517m) : dirāsah tārīkhīyah. al-Riyāḍ : Markaz al-Malik Fayṣal lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al-Islāmīyah.

al-Maqrīzī, Taqī al-Dīn Aḥmad ibn ‘Alī (t 845h / 1442m). al-mawā‘iẓ wa-al-i‘tibār bi-dhikr al-Khiṭaṭ wa-al-āthār, taḥqīq : Muḥammad Zaynahum wmdyḥ al-Sharqāwī, Maktabat Madbūlī, al-Qāhirah, 1998m.

Muwāfī, ‘Uthmān. (1976m). Manhaj al-naqd al-tārīkhī (ṭ2). al-Iskandarīyah : Mu’assasat al-Thaqāfah al-Jāmi‘īyah.

Almywrqy, Aḥmad ibn ‘Alī al-‘Abdarī (t678h / 1279m). Bahjat al-manhaj fī ba‘ḍ faḍā’il al-Ṭā’if wwj), taḥqīq : Ibrāhīm Muḥammad al-Zayd, al-Ṭā’if, 1984m.

al-Wakīl, Muḥammad al-Sayyid. (1988m). al-Masjid al-Nabawī ‘abra al-tārīkh. al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah : Dār al-mujtama‘.